

## الرهان

لانطون تشيكوف الروسي

(١٨٦٠ - ١٩٠٤)

يبدأ تشيكوف من اعظم كُتّاب الاقاصيص في العالم . ولد سنة ١٨٦٠ في جنوب روسيا . ودرس فنّ الطب في جامعة موسكو وقال شهادة طبيب سنة ١٨٨٤ . ولكنّه لم يزاول هذه الصناعة قط بل تفرّغ للكتابة . وقد وجد في العلوم التي تطلع منها في الجامعة خير معوان على البراعة في فنّ البراعة . فبلغ من معرفة اطوار الناس وطاقتهم ملئاً فائق الوصف ومنقطع النظير . واجاد تمثيلها في قصصه الكثيرة إجادة خلبت أذهان القراء . ودلّت على ما أوتيته من قوّة البلاغة وشدة الذكاء . وقد توفي في اليوم الثاني من شهر يوليو سنة ١٩٠٤ ودُفن في موسكو

وفي القصة الآتية يان ما يؤدّي اليه الرهان البسيط من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة

## القصة

في احدى ليالي الحريف المظلمة اخذ الكسي الصيرفيّ ينشئ في مكتبه جثةً وذهاباً . وقد استعاد في ذهنه ذكر الليلة الساهرة التي اجابها في بيته منذ خمس عشرة سنة ودعا اليها نخبة اهل الفضل والجاه . وكان من جملة الأمور التي بحثوا فيها وجعلوها موضوع محرم عقوبة القتل او الحكم على القاتل بالموت . فاستهجن معظمهم هضم العقوبة وعدّوها منافية للدين والادب وقالوا بوجود الفاشها واستبدال السجن المؤبد بها . فتصدّى لهم الصيرفيّ ربّ الدعوة وقال :

«لست بموافق على هذا الرأي . ومع اني لم اجرّب الحكم بالموت ولا اخترتُ السجن المؤبد ارى ورأيي قرن الصواب ان العقوبة الاولى [ الحكم بالموت ] اقرب من العقوبة الثانية [ السجن المؤبد ] الى مراعاة حرمة الدين وقواعد الادب . لان الموت بصرم جيل الحياة باسرع ما يستطيع . واما السجن المؤبد فهو عبارة عن قتل تدريجي . فأي القاتلين ارفق وأرفق ؟ اذلك الذي ينزع الحياة في بضع ثوانٍ ام الذي يستنزفها كل يوم بلا انقطاع مدة ستين طويلاً ؟ »

فقال واحد من المدعويين :

« عندي ان الجريمتين كليهما مخالفتان للدين ومعارضتان للأدب . لان غرضها واحد وهو إطفاء شعلة الحياة . والحكومة اية كانت ليست الله . فلا يحق لها اخذ مالا تستطيع رده اذا شاءت »

وكان بينهم محام في الثانية والشرين من العمر . وقد سئل ان يدي رأيه في هذه المسألة فأجاب :

« أرى ان العقوبتين كليهما فظيئتان ومناقضتان لقواعد الادب . ولكنني لو حُيرت فيها لاخترتُ من فوري الثانية ( السجن المؤبد ) وقضيتها على الاولى . لان الحياة ، على اي وجه كان ، خير من عدمها »

وحمي وطيس الحوار في هذا الموضوع واتسعت مسافة الخلف بين المتحاورين . وكان رب الدعوة في ذلك الحين في عنفوان الشباب وعلى جانب عظيم من التزق وسرعة التضب . فضرب المائدة يدمر والتفت الى المحامي وقال له بلسان المنعطف المحقق :

« ذلك كذب وبهتان . واني اراهنك على مليوني ريال ان استطعت الصبر على الإقامة في السجن خمس سنوات فقط »

— « اذا كنت في قولك هذا جاداً غير هازل فاني مستعد للراهنه لا على خمس سنين فقط بل على خمس عشرة سنة »

فصاح الصيرفي :

« خمس عشرة سنة اتفقنا . اشهدوا ايها السادة »

وقال له المحامي :

« نعم اتفقنا على مسمع ومرأى من هؤلاء السادة . فانت تُعاصر مليوني الريال وأنا اخطر بحياتي »

وهكذا تم ذلك الرهان التريب الباعث على الهزء والسخرية . وكان الصيرفي في ذلك الحين من ارباب الثروة الكبيرة واصحاب الملايين الكثيرة . لكنه كان تقياً شكماً سريع القلب . وفيها هم جالسون لتناول العشاء قال للمحامي :

« خلّ عنك التروور ايها الشاب وارعو عن غيتك قبل فوات الوقت . لا يهني

دفع مليوني ريال . ولكن من المحقق عندي انك لا تستطيع الإقامة في السجن

أكثر من ثلث أو أربع سنوات تذهب من حياتك سدى . ولا تنس أيها التقي المتكود  
الحظ ان السجن الاختياري اشد وطأة على النفس من السجن الاضطراري . ولقد  
أعذر من أنذر والسلام»

\*\*\*

والآن كان هذا الصيرفي بروح وعي في مكتبه ذا كراً كل ما حدث في تلك  
الليلة وقائلاً في نفسه :

« لماذا أقدمت على هذا الرهان ؟ وما الفائدة منه ؟ هذا المحامي يحضر خمس  
عشرة سنة من حياته وأنا اضيع مليوني ريال باطلاً . وهل في هذا وذاك ما يقع  
الناس بان العقوبة بالموت شر أو خير من عقاب السجن المؤبد ؟ لا . لا ؟ هذا كله  
باطل وغرور . أتبتة مندفعاً بامل الزهو والحيلاء واتاه المحامي منساقاً بشهوة الطمع  
وحب المال»

ثم تذكر ما حدث بعد تلك الليلة . اذ ترتب على المحامي ان يقيم في غرفة في  
حديقة بيت الصيرفي تحت اشد مراقبة ويكون في اثناء مدة سجنه محروماً حتى حق  
اجتياز العتبة لمشاهدة احد من الناس او سماع الاصوات البشرية او تسلّم الرسائل  
والصحف . وكان مأذوناً له ان يكون عنده آلة موسيقية وان يطالع الكتب ويكتب  
ما شاء من الرسائل ويشرب خراً ويدخن تبناً . وبموجب الاتفاق كان يحق له ان  
يكتب على ورقة ما يحتاج اليه مما سبق ذكره ويلقيها من نافذة صغيرة ، انشئت في  
غرفته لهذه الغاية ، من غير ان يفوه بكلمة . وكان في الاتفاق نص صريح على اتخاذ  
الوسائط الضرورية لاستيفاء شروط السجن كلها في هذه الغرفة . وتحم على المحامي ان  
يقيم محبوساً فيها خمس عشرة سنة كاملة من منتصف اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر  
سنة ١٨٧٠ الى منتصف سنة ١٨٨٥ . واقل محاولة منه للإخلال في الشروط المتفق  
عليها والخروج من سجنه ولو دقيقة واحدة قبل الوقت الميعن تسوّغ للصيرفي نقض  
العهد وعدم دفع مليوني الريال

\*\*\*

ومن مطالعة المذكرات القصيرة التي كان المحامي يكتبها وبلقي بها من نافذة محبه  
الضح انه قضى سنته الاولى في مالا يزيد عليه من السامة والضجر . وكان صوت

إيقاعه على اليانو يسع نهاراً ولبلاً بلا اقطاع . وقد أبى قبول الحر والتبغ في هذه السنة ، قائلاً فيها في مذكرته « ان درشف المكريج الشهوات التي هي اكبر اعداء السجين . ولا شيء ادعى الى التبرم والانزطاج من شرب الراح على افراد بلا نديم ولا سمير . وكفى التبغ ضرراً ان دخانه يفسد هواء الغرفة ومجملته غير صالح للاستنشاق » . وكانت الكتب التي أرسلت اليه في هذه السنة مما يصلح للفكرة والسلية وقضاء اوقات الفراغ كالقصص على اختلاف انواعها

وفي السنة الثانية اقطع صوت اليانو وطغ الحامي في طلب كتب الادب . وفي السنة الخامسة استأنف الايقاع على اليانو وارسل يطلب الحر . وروى الذين راقبوه في هذه السنة انه اقتصر فيها على قضاء وقته في الاكل والشرب والاضطجاع في سريره . وكان يكثر من التاؤب ومعاينة نفسه بلسان النيط والحق . اما الكتب فهجرتها ولم عمل الى مطالعتها . وكان يجلس في بعض الليالي للكتابة ويقضي فيها وقتاً طويلاً وفي الصباح يمزق كل ما كتبه . وسمعوه غير مرة يُعول ويكي

وفي منتصف السنة السادسة شرع يندل أقصى الجهد في تعلم اللغات والفلسفة والتاريخ وابدى في ذلك رغبة تفوق الوصف حتى شغل وقت الصيرفي كله باعداد الكتب التي احتاج اليها . وفي اربع سنين بلغ عددها ، ست مئة مجلد . وفي ذات يوم بعث الى الصيرفي بكتاب يقول له فيه : « سجتاني العزيز . اني اكتب اليك هذه الاسطر في ست لغات . فارجو ان تفضل بمرضا على من يعرفون هذه اللغات . وان لم يجدوا فيها غلطة قط تفضل باطلاق بندقية في الحديقة ومن صوتها اعلم ان تعي لم يذهب باطلاً . فالوانع في جميع الازمنة والامكنة تكلموا بالسنة مختلفة لكن فار البقرية التي تأججت في صدورهم كانت واحدة . آه . ليتك تستطيع ان تعلم مبلغ النبطة التي أنتم بها الآن بعدما تمكنت من معرفة لغاتهم وفهم افكارهم ا » وقد اجاب الصيرفي طلبه وامر باطلاق بندقية في الحديقة

وبعد السنة العاشرة جلس الحامي كالضم امام مائدة الكتابة وأمعن في مطالعة المهدي الجديد من الكتاب المقدس . تجسب الصيرفي من رجل يعي في ذهنه خلاصة العلوم والمعارف التي جمعها في اربع سنوات من قراءة ست مئة مجلد ثم يقضي بعد ذلك نحو سنة في مطالعة كتاب صغير الحجم سهل الفهم كالعهد الجديد . ولم يتم بعد ذلك

ان استبدل بالهد الجديد تاريخ الاديان وعلم الفقه ( اللاهوت )

\*\*\*

وفي السنين الاخيرتين من سجنه كان يطالع ما تقع يده عليه إتفاقاً من الكتب بلا تحريم ولا اختيار . ولما اوشكت مدة سجنه ان تنتهي قال الصيرفي في نفسه :  
« في الساعة الثانية عشرة غداً يُقضى الامر ويحق للصحامي ان يخرج من سجنه .  
ويعوجب الاتفاق يترتب عليّ ان ادفع اليه مليوني ريال . واذا دفعت هذا المبلغ الباهظ  
بتّ فقيراً معدماً لا املك درهماً »

كان منذ خمس عشرة سنة ربّ ملايين كثيرة . ولكنه كانت في هذه المدة قد  
انبتت في الضاربات والمراهات وخسر فيها مقادير كبيرة من المال واصبح عرضة  
للهواجس والخاوف

وعند افتكلامه بدنو الساعة الرهية تبرّم وتعلم وقبض رأسه بين يديه وقال  
بلهجة القانط اليأس :

« ياله من رهان مشؤوم ملعون ! وهذا الحامي العتلّ الزنيم لماذا لم يمّت ويرحني  
من هذا المذاب الاليم ؟ عما قبل يترّمني آخر درهم املكه فيتزوج ويعيش في رغد  
ورخاء وسرور وصفاء وينادرنى افقر من ابن المذلق اتجرّع تحمص الضنك والشقاء  
لا — لا — إن هذا فوق طائفي ولا يسعني احتماله . وخير وصيلة لتخلص من هذا  
الضيق الخائق ان يموت الحامي . اذن لا بدّ من موته »

وكانت الساعة الثالثة بعد نصف الليل والصيرفي حليف سهاد لم تذق فيه عيناه  
طعم الرقاد . وكان ظلّ الكوت مخيماً على يتيه وجيع من فيه غارقون في لجة الكرى .  
فتناول مفتاح الباب المقل منذ خمس عشرة سنة ولبس معطفه وخرج . وكان البرد  
قارصاً والظلام داساً . فسرى في الحديقة متلصقاً بطريقة يديه كالاعمى حتى وصل  
الى جناحها حيث غرفة السجن وأهاب بالخارس مرتين فلم يكن من مجيب لانه كان  
منتقلاً بنوم عميق في المطبخ . ولما وصل الى باب الترفة أشعل عود ثقاب ونظر فرأى  
الحلم باقياً عليه كما كان منذ يوم إقفاله . وأطلّ من النافذة الصغيرة وعلى ضياء شمعة  
ضئيل ابصر الحامي جالساً على كرسي بجانب المائدة وظهروه الى النافذة وشعر رأسه  
متدلّ على كتفيه وجانيه والكتب منثورة حوله

فاتنظر خمس دقائق والسجين باقى ساكناً لا يُبدي حراكاً. لانه كان قد ارتاض في هذه السنين الطويلة على جلوس خال من الحركة كأنه فيه قطعة من جراد. ونقر الصيرفيُّ بأصبعه على زجاج النافذة فلم يسمع جواً أبداً ولا رأى في السجين اقل حركة. واذ ذاك عمد الى الباب ففك حنقه وأدار المفتاح فيه فارتفع لاقطاعه صرف ظنه كانياً لتنيه الحامي ان كان غافلاً أو لا يقاطه ان كان ناثماً ولكنه ما لبث ان رأى ظنه في غير محله وصحت عزمته على الدخول

دخل فرأى بجانب المائدة رجلاً ليس كثيره من الرجال. ذا جسد هزيل نحيل لم يبق منه سوى عظم ذار ذابيل عليه جلد متعفن منكش وهو اسفر الوجه غار الحدين اعجب اليدين مقوس الظهر وقد وخط الشيب شعر رأسه ولحيته الجمد الطويل وامامه صحيفة مكتوبة بخطٍ دقيق انيق. فحدق الصيرفيُّ اليه وقال في نفسه: —

« انه قائم نوماً عميقاً. ولعله يرى مليوني الريال في حلمه وينم بعدّها — فما عليّ سوى ان احله واضعاً في فراشه وأغمي وجهه بالحدة فتخذب بقية اناسه. ولا ارجس خوف اتهمى بقتله لان الفتك به على هذا الوجه سيخفي حتى على امهر الاطباء. ولكنني اروم ان اطلع اولاً على ما كتب»

ثم تناول الصحيفة وتلا فيها ما يأتي: —

« غداً الساعة الثانية عشرة تُفك قيود سجنى وتردّ اليّ حرية الخروج من حسي والاختلاط ببني حسي. ولكنني قبل مفادرة هذه الغرفة ومشاهدة ضياء الشمس ارى من الضروري أن اخاطبكم يا اهل العالم بهذه الكلمات. فبضمين صالح تقي وامام الله الذي يراني اصريح لكم اني احتقر الحرية والحياة والصحة وكل ما تفاخر كتبكم بعدو من بركات هذا العالم

« خمس عشرة سنة قضيتها في الدرس الدقيق والتأمل المسبق في هذه الحياة الدنيا. لم اني لم ارب فيها الارض ولا التاس. ولكنني في كتبكم حصلت على كل ما يستطاب اقتفاه ويستعذب ارتشاقه ونلت كل ما تطرب الاذان بساعه وتمرّ البيون بمشاهدته ووقفت على اسرار الطبيعة وخفايا العلوم والفنون وجولت في الارض برأ ومجرأ وكشفت المجهل في مفاوز الارض وما كان منها تحت الماء وفوق الهواء وعرفت ما اعانت معرفته حتى على كبار الفلاسفة والحكام. في كتبكم صدت الى الاطالي وهبطت

الى الاعماق واثبت ما شئت من خوارق الآيات والمعجزات واضمرت النار في مدن  
غادرتها رماداً ونشرت ديانات جديدة جعلت الناس كلهم لها عباداً . ومن كتبكم هذه  
جعت حكمة الاولين والآخرين فصرت احكم انسان تحت الشمس  
« والآن اقول اني ازدرى كتبكم هذه واحقر الحكمة العالمية والبركات الارضية.  
فكل شيء في العالم باطل — ظلل زائل ولونه حائل . وهو اجيل من ضباب واخذع  
من سراب . اراكم تزهون وتفخرون بما اوتيتهم من حكمة وثروة وجاه وجمال ولكن  
هذه كلها وغيرها من الباطل الارض لا تدفع عنكم يد الموت حين تتدأ اليكم وتمد سطار  
الفناء عليكم

« انكم في غرور وضلال بل في جنون ما بعده من جنون . تؤثرون النبي على  
الهدى والكذب على الصدق والحرام على الحلال والسهاجة على الجمال وتستبدلون  
الحديث بالطيب والطالح بالصالح

« ولكي اريكم بالفعل شدة احتقاري لما تعلقون قلوبكم عليه وتوجهون كل اهتمامكم  
في هذه الحياة اليه ارفض المليونين الذين راهنت عليها والآت انظر اليها بين  
الازدراء . ولكي احوط دون استحقاقي لها عزمتم على الخروج من سجنني قبل الوقت  
المعين بخمس دقائق فأخلت بشروط الاتفاق واحرم المبلغ المتفق عليه »

\*\*\*

ولما فرغ الصيرفي من تلاوة الصحيفة وضعا على المائدة وقبل المحامي في رأسه  
وأوغل في البكاء والنحيب . وما ابطأ ان غادر انقرفة راجعاً الى بيته وقلبه منقلب بالغمم  
ومغمم بالشعور العميق بهرط سفائته ونذاته . واضطجع في سريره بمحاول النوم فليستطه  
وقضى بقية ليله في اكتاب واتحباب نادماً على ما اتاه من اعمال الحساسة والدناءة .  
وقيل الفجر ران عليه الكرى ففرق في لجته الى ظهر اليوم التالي حين جاءه الحارس  
مهرولاً واخبره بانهُ رأى الرجل المقيم في الغرفة التي في جناح الحديقة وقد ونب من  
النافذة الى الحديقة ثم خرج من البوابة وذهب . تخف الصيرفي الى جناح الحديقة  
ومعه خدامه وقرر فرار السجين بشهادة الخدام . ولكي يجتنب قال الناس وقيلهم في  
هذا الموضوع اخذ الصحيفة التي كانت لا تزال على المائدة واقتل عليها في خزائنه  
ترجمة : اسعد خليل داغر